هوامش

يستضيف تيت غاليري في لندن حتى 13 أكتوبر/ تشرين الأول معرض «الآن ترونا» الذي يغطي نحو 400 عام من الإبداع النسوي، من القرن السابع عشر وحتى مطلع القرن العشرين

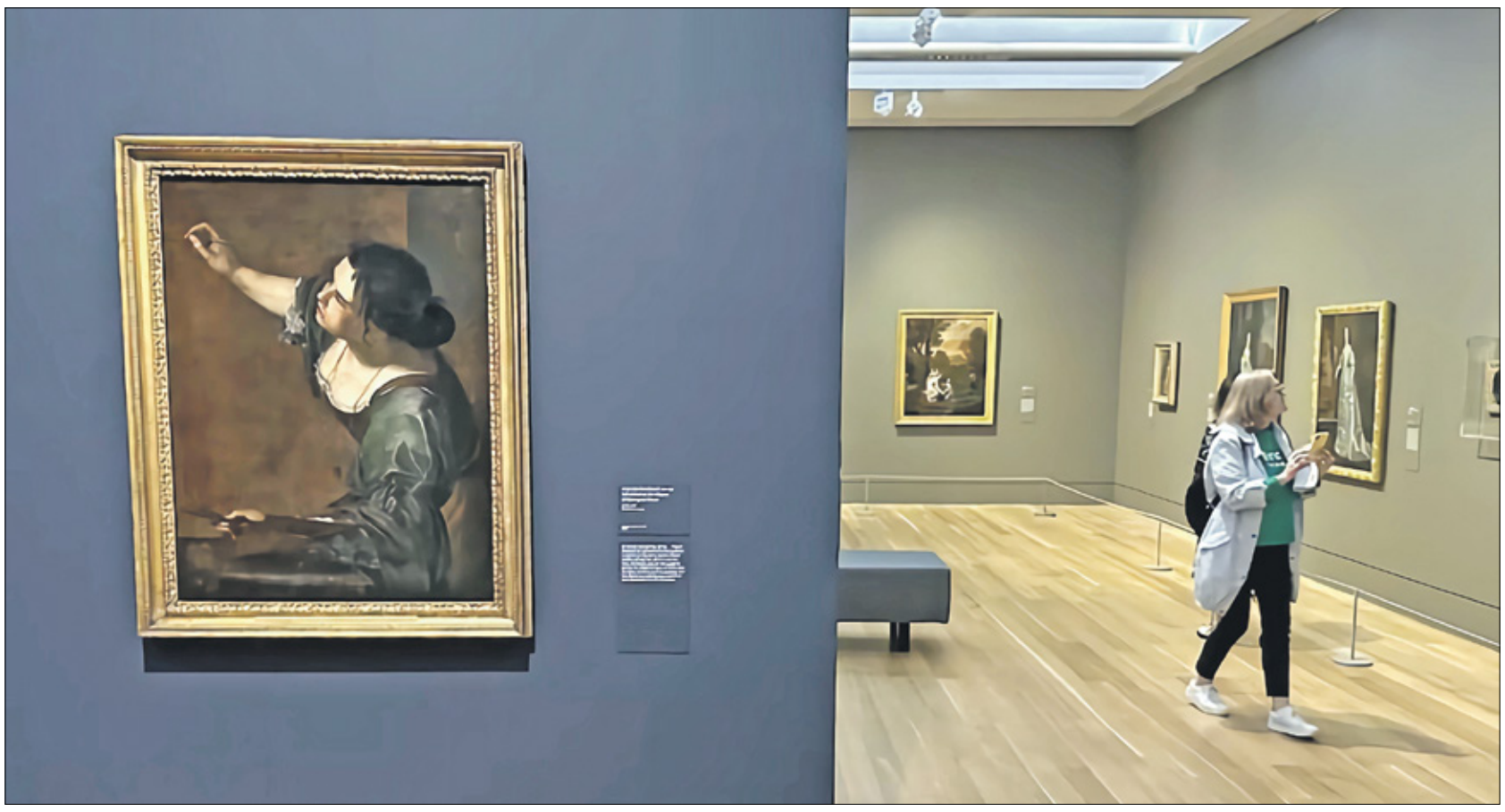

من المعرض (فيسبوك)

الآن ترونا

400 عام من الفنانات المنسيات

ريم ياسر

كانت ماري بيل (1633 ـ 1699) رسّامة بورتريه إنكليزية ماهرة ومعروفة في عصرها بين عددٍ محدود من الفنانات المحترفات في لندن، غير أن بيل تميّزت عن غيرها من الفنانات الأخريات بحبها للكتابة. من بين مؤلفاتها كتاب «خطاب عن الصداقة» ويضم مجموعة من النصوص تحمل وجهة نظرها الفريدة حول هذا الموضوع. للفنانة أيضاً كتاب بعنوان «ملاحظات» حول المواد والتقنيات المستخدمة في الرسم، وهو يُعد أقدم نص تعليمي معروف باللغة الإنكليزية كتبته رسامة. على الرغم من الجدارة التي تمتعت بها ماري بيل وتجربتها الإبداعية المهمة إلا أنها قد تعرضت للتهميش في السرديات المتعلقة بتاريخ الفن الإنكليزي، حتى إنّ العديد من مواطنيها اليوم قد لا يعرفون شيئاً عن سيرتها. في الحقيقة لم تكن ماري بيل وحدها التي تعرضت للتهميش، إذ طاول التهميش والنسيان فنانات أخريات وتم تجاهل جهودهن كأنهن غير مرئيات.

«الآن ترونا»، هو عنوان المعرض الذي يستضيفه تيت غاليري في لندن حتى 13 أكتوبر/ تشرين الأول ويسعى من خلاله منظموه إلى رد الاعتبار إلى هؤلاء الفنانات الموهوبات اللاتي تم تهميش مساهماتهن في تاريخ الفن والثقافة الإنكليزية. يغطي المعرض نحو 400 عام من الإبداع النسوي، من القرن السابع عشر وحتى مطلع القرن العشرين، ويتتبع النساء في رحلاتهن إلى أن أصبحن فنانات محترفات. مهّدت فنانات مثل ماري بيل وأنجليكا كوفمان وإليزابيث بتلر ولورا نايت مساراً فنياً جديداً لأجيال من النساء، خالفن توقعات المجتمع وتحدين الصورة النمطية المرسومة لدور المرأة في ذلك الوقت. يضم المعرض أكثر من 150 عملاً، ويفكك الصور التقليدية المحيطة بالفنانات في التاريخ، واللاتي غالباً ما كان يتم التعامل معهن كهاويات ولسن محترفات. توضح الأعمال كيف رفض هؤلاء الفنانات الخضوع للقيود، فرسمن بجرأة ما كان يُعتقد عادةً أنها مواضيع للفنانين الذكور، كالمواضيع التاريخية ومشاهد المعارك والأعمال العارية. يسلط المعرض الضوء أيضاً على مسيرة طويلة من الكفاح من أجل المساواة في الوصول إلى التدريب الفني وعضوية الأكاديمية الملكية للفنون، وكسر الحدود والتغلب على العديد من العقبات التي كانت تواجه النساء في عالم الفن. يضم المعرض لوحات صُنّفت أعمالاً مجهولة لعقود طويلة، قبل أن يُتعرّف على من رسمها أخيراً، مثل لوحة «سوزانا والشيوخ» للفنانة أرتميسيا جنتيلسكي، وهي إيطالية عاشت في بريطانيا في مطلع القرن السابع عشر. لم يُتعرّف على هذه اللوحة المميزة للفنانة إلا العام الماضي فقط وكانت مسجلة كعمل مجهول ضمن المجموعة الملكية. ما حدث للوحة سوزانا والشيوخ يوضح مدى التهميش الذي تعرضت له أعمال النساء وكيف كان يُحتفظ بها دون اكتراث بسجلها مثل أعمال الفنانين الرجال، ومن هنا تأتي أهمية هذا المعرض.

رسم الطبيعة الصامتة النباتية كان أحد الموضوعات التي تطرقت إليها أعمال هؤلاء الفنانات، وهو موضوع كان ينظر إليه بتقدير أقل باعتباره موضوعاً نسائياً. ما قد لا يعرفه البعض أن الكثير من هذه الأعمال التي لم تلق اهتماماً في الأوساط الفنية كانت ذات فائدة علمية عظيمة، فهي أحد المكونات الرئيسية اليوم ضمن مقتنيات متحف التاريخ الطبيعي، ففي عصر لم يكن يعرف التصوير الفوتوغرافي كان يتم التعامل مع هذه الأعمال المرسومة بدقة للنباتات والزهور كوثائق بصرية. لم تكتف الفنانات برسم الزهور كما كان يُراد لهن، بل تطرقن إلى موضوعات كثيرة ومختلفة، من بينها مثلاً البورتريه، والذي برعت فيه العديد من النساء. تُظهر الأعمال مدى البراعة التي بلغتها النساء في رسم البورتريه والمشهد الطبيعي، وهما الموضوعان الأثيران عند الفنانين البريطانيين خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. من اللافت هنا أن الدراسات المتعلقة بهذه الفترة تؤرّخ للفنانين الرجال جيداً بينما لم تحظ العديد من الفنانات اللاتي تُمثل أعمالهن في هذا المعرض باهتمام مماثل رغم موهبتهن وبراعتهن التي لا تقل عن الفنانين الرجال. بين هؤلاء الفنانات مثلاً تبرز جوان كارلیل وآن كيليجرو وسارة بيفين. من الجدير بالذكر هنا أن الفنانة سارة بيفين (1784 - 1850) تمثل حالة إبداعية خاصة ونادرة، إذ ولدت بدون ذراعين وكانت تمسك الفرشاة بفمها. اللافت هنا أيضاً أن العديد من هؤلاء الفنانات قد تألقن في زمانهن وحققن مكانة اجتماعية مرموقة، لكنهن لم يحظين بتقدير مماثل في السردية التاريخية للفن البريطاني. يفسر البعض هذا الأمر بأنه يتعلق بطبيعة العصر وثقافة المجتمع الرافضة لعمل النساء أو انخراطهن في أعمال الرجال. هذه الأجواء الرافضة لامتهان النساء الفنّ تعبر عنها الفنانة هارييت جولدسميث في كتابها «صوت من صورة» المنشور عام 1839. في هذا الكتاب تسجل جولدسميث بعض المواقف التي حدثت لها في حياتها العملية، كوضع لوحاتها بشكل سيئ في المعارض، واضطرارها لبيع أعمالها بثمن بخس لدفع إيجار منزلها. تحكي جولدسميث في كتابها أيضاً عن أحد المواقف الدالة التي تعرضت لها أثناء مُشاركتها في معرض جماعي، فحين سمعت البعض يثني على عملها بادرت بتقديم نفسها، غير أن حماس هؤلاء قد خفت إلى حد كبير كما تقول فور علمهم أنها صاحبة اللوحة.

باختصار

يضم المعرض أكثر من 150 عملاً، ويفكك الصور التقليدية المحيطة بالفنانات في التاريخ، واللاتي غالباً ما كان يُتعامل معهن كهاويات ولسن محترفات

■■■

رسم الطبيعة الصامتة النباتية كان أحد الموضوعات التي تطرقت إليها أعمال هؤلاء الفنانات، وهو موضوع كان ينظر إليه بتقدير أقل باعتباره موضوعاً نسائياً

■■■

تُظهر الأعمال مدى البراعة التي بلغتها النساء في رسم البورتريه والمشهد الطبيعي، وهما الموضوعان الأثيران عند الفنانين البريطانيين خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر

وأخيراً

أين يقيم كاتبُك الوطني؟

آدم فتحي

يحتدم هذا الجدل مع رحيل الكُتّاب الوازنين، على الرغم من قلق العبارة في العربيّة. كان دخول فولتير البانثيون سنة 1791 ميلاداً رسميّاً لمفهوم الكاتب الوطنيّ في الغرب. لكن هذا المفهوم لم يستقرّ تماماً في الثقافة العربيّة. وهَبْ أنّه فعَلَ، هل ظلّت هذه الثقافة سخيّةً بمزيد من هؤلاء الكتّاب المشتبكين المنخرطين في الحياة العامّة على غرار طه حسين والطاهر الحدّاد وغسّان كنفاني وإدوارد سعيد وإلياس خوري ونوال السعداوي وأمثالهم، أم أنّ هذه النوعيّة من الكتّاب أصبحت نادرة مع تطوّر وسائل القمع والترويض والإغواء وطغيان نزعة الاستهلاك على الفضاءات الاتّصاليّة والتواصُليّة؟ يحتدم هذا الجدل كلّ مرّة مع رحيل الكتّاب الكبار. ويحتدم أكثر مع تفاقم الآفات المصاحبة: تراجع مكانة الكِتاب. تقلّص عدد القرّاء. تغييب الكُتّاب عن المشهد. استشراء نزعة التسليع والاستهلاك. استيلاء صانع الرأي على صفة المثقّف مدجّجاً بأسلحة الحروب الخوارزميّة. كيف يمكن تبيُّن الكاتب الوطنيّ بهذا المعنى فيما يكاد يتعذّر تحديدُ ملامح الكاتب في المطلق؟ لا تقف صعوبةُ تحديد هويّة الكاتب الوطنيّ عند هذا الحدّ. المطلوب منه في صورته الأولى أن يكون كاتبَ بلادِه في الداخل ورايتَها في الخارج. أن يعبّر عنها محليّاً عن طريق قرّائه، وأن يمثّلها في المحافل الدوليّة بوساطة الترجمة. أن يقول بلاده بلغته وأسلوبه وحضوره وتأثير أفكاره، وأن يقول فرادتَهُ في الوقت نفسه. كيف يمكن لكاتبٍ بهذا التفرّد أن يكون محلّ إجماع بهذا المعنى؟

ليست المسألة بالأوتوماتيكيّة التي يمكن تصوّرها. قد تظنّ أنّ فرنسا مثلاً تعجُّ بورثة فيكتور هوغو، لكنّك سرعان ما تشكّ في ذلك، حين تقرأ في إحدى افتتاحيّات الماغازين ليتيرار تأكيداً على استبدال النخبة بالمشاهير واختزال ممثّلي الروح الوطنيّة في قوائم الشخصيّات الأكثر شُهرة (Top 50)، حيث تبحث عبثاً عن أسماء الكاتبات والكتّاب، وكأنّ «المرآة الوطنيّة» لم تعد قادرة على التعرّف إلاّ على نجوم الشوبيز. أنت في حاجة حقّاً إلى كاتب وطني مبدع صاحب رؤية وموقف، كاتب حرّ مستقلّ لا يسمح بتوظيف قلمه لأيٍّ كان، يعمل فرداً داخل نصّه، ويعمل عضواً في فريقٍ خارج النصّ. لكنّك كثيراً ما تصطدم بنقيض هذه الصورة. وكأنّ تعلّقك بمفهوم الكاتب الوطنيّ هو استمرار للهوس الجماعيّ بسيّد الأدباء وأمير الشعراء وغير هذه من الألقاب، في سياق ثقافة لم تعرف بعد كيف تخرّج من مربّع الأحاديّة: الرأي الواحد، الحزب الواحد، الحاكم الواحد، الكاتب الواحد.

أنت إذاً أمام تجاذب بين قطبين: قطب سائر إلى الأفول تحافظ على إدامته السياسةُ عن طريق تطويب كُتّابٍ معيّنين وإلحاقهم بالبانثيون في طقوس شبه دينيّة. وما كان لذلك أن يحدُث لو لم يكن تكريسُ كاتبٍ على حساب آخر يعني تكريسَ سرديّةٍ في مقابل أخرى، وتحويلها إلى سرديّة جماعيّة وأحيانًا «رسميّة». وقطب صاعد مرتبط بتغيير النظر إلى هويّة الكاتب في سياق علاقته بالزمان والمكان. حيث لا ترتبط الوطنيّة بخدمة اللحظة بقدْر ما تتوق إلى القدوم من المستقبل. نقرأ في مجلّة ميديوم التي أدارها ريجيس دوبريه حتى 2004، وفي العدد الخاصّ بهذه التيمة، أنّ لوثر قد يمثّل اليوم الروح الألمانيّة أكثر من غوته، لأنّ معظم أعمال غوته لم تعرف كيف تتجاوز حدود التعبير عن زمنها، وأنّ زمن الكاتب الوطنيّ قد ولّى، لأنّ الكاتب (موديانو مثلاً) يبني أثره، في أحيانٍ كثيرة، ضدّ اتّجاه التاريخ وضدّ هويّة بلاده، كما هي متحقّقة ومتجسّدة في زمنه. يحتدم هذا الجدل مع رحيل الكتّاب الكبار، فتكاد تلوذ بالسخرية ما إن تسمع السؤال «أين يقيم كاتبك الوطنيّ اليوم؟». تقول إنّه يقيم في الأرشيف، أو في المقبرة، خاصّة حين ترى كيف تُغدق عليه ألوان المدائح، ما أن يُطمأنَّ إلى هجوعه في مثواه الأخير. ثمّ تفضّل أن تراه شبيهاً بالحقيقة يقيم دائماً في مكان آخر، في الأوطان حين تصبح أوطاناً. حين تتراجع شيئاً فشيئاً الثقافةُ الأحاديّة والمشهدُ الأحاديّ وتصعد إلى الصدارة ثقافةُ التعدّد. ثقافة تخدم فرادة الكاتب من دون أن تعزله. تتجاوز به المعارك الهوويّة وتضع موهبته في حوار مع قيم الإنسان ومع روح بلاد الكتابة بتعدّدها وتنوّعها واختلافها. هناك تولد الثقافةُ الوطنيّةُ الجديدة، ويولد الكاتب الوطنيّ الجديد، الكاتب الذي يسبقُ زمنَه ويفارقُ مكانه ويصنع نفسَهُ خارج سياق كلّ إجماع، ولا يكفّ عن انتظار قارئه في المستقبل.

> أنت في حاجة حقّاً إلى كاتب وطني مبدع صاحب رؤية وموقف، كاتب حرّ مستقلّ لا يسمح بتوظيف قلمه لأيّ كان

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,50**, Austria **€ 2,50**, Belgium **€ 2,50**, France **€ 2,50**, Germany **€ 2,50**, Holland **€ 2,50**, Italy **€ 2,50**, Spain **€ 2,50**, Switzerland **CHF 3,50** Turkey **TL 10,00**, USA **$ 2,00**